التحليل الجغرافي للزحف العمراني واتجاهات التوسع المكاني على الأراضي الزراعية المحيطة بمدينة الناصرية

أ.د تحسين جاسم شنان (محور الجغرافيا) قسم الجغرافيا / كلية التربية للعلوم الانسانية /جامعة ذي قار
Dr.tahsen.j@utq.edu.iq

المستخلص

إن توسع المدينة على حساب الأراضي الزراعية يأخذ ثلاث ابعاد احدهما مساحي والآخر اجتماعي والثالث اقتصادي وتعمل هذه الأبعاد الثلاثة مشتركة ومتزامنة في الوقت ذاته. لذلك يهدف البحث الى تحليل ظاهرة الزحف العمراني على الأراضي الزراعية المحيطة بمدينة الناصرية بوصفها احد ابرز المشكلات التي تهدد التوازن المكاني بين الاستخدامات الحضرية والريفية.

تكمن الحلول التي يمكن منها معالجة تلك الظاهرة بتشجيع التوسع العمراني الرأسي بدلا من التوسع الافقي حفاضا على المساحات الزراعية المنتجة فعليا لانها ثروة وطنية تساهم في دعم الامن الغذائي للسكان فضلا عن تفعيل القوانين ضد المتجاوزين على المساحات الزراعية .

الكلمات المفتاحية : **الزحف العمراني ، الاراضي الزراعية ، مدينة الناصرية ، الاطراف الريفية الحضرية ، النمو السكاني**

Geographical analysis of urban sprawl and spatial expansion trends on agricultural lands surrounding the city of Nasiriyah

Prof. Dr. Tahseen Jassim Shanan, University of Thi Qar / College of Education for Human Sciences

Abstract

Urban expansion at the expense of agricultural land has three dimensions: spatial, social, and economic. These three dimensions operate simultaneously and .in conjunction

Therefore, this research aims to analyze the phenomenon of urban sprawl onto agricultural lands surrounding the city of Nasiriyah, as it is one of the most prominent problems threatening the spatial balance between urban and rural land .uses

Solutions to address this phenomenon include encouraging vertical urban expansion instead of horizontal expansion, thus preserving productive agricultural land, which is a national asset contributing to food security for the population. Furthermore, it is essential to enforce laws against those encroaching on agricultural land

التحليل الجغرافي للزحف العمراني واتجاهات التوسع المكاني على الأراضي الزراعية المحيطة بمدينة الناصرية

أ.د تحسين جاسم شنان

.

Keywords**: Urban sprawl, agricultural land, Nasiriyah city, rural-urban periphery, population growth**

المقدمة

يشير مفهوم التوسع العمراني إلى امتداد المدن على حساب الأراضي والمناطق المحيطة بها، وهو ما يؤدي تدريجيًا إلى تطوير تلك المناطق وزيادة كثافتها السكانية بمرور الوقت. وتُعزى هذه الظاهرة إلى مجموعة من العوامل، يأتي في مقدمتها النمو السكاني المتزايد، إلى جانب السياسات الحكومية التي تسهم في إنشاء أحياء سكنية جديدة داخل الأراضي الزراعية أو في أطرافها.

تلعب الدوافع الاقتصادية دورًا مؤثرًا في هذه الظاهرة، إذ يُغري ارتفاع أسعار الأراضي أصحاب الأراضي الزراعية الواقعة في ضواحي المدن ببيعها وتحويلها إلى استخدامات غير زراعية. ويضاف إلى ذلك البعد الاجتماعي المتمثل في رغبة بعض السكان في الانتقال إلى مناطق أكثر هدوءًا في الأطراف الريفية للمدن، مما يدفعهم إلى اقتطاع أجزاء من الأراضي الزراعية وتحويلها إلى وحدات سكنية دون استغلالها في الزراعة.

ويُضاف إلى هذه العوامل كذلك التحسّن النسبي في المستوى المعيشي لبعض فئات المجتمع، والذي أدى إلى ازدياد الطلب على الأراضي السكنية نتيجة تفكك الأسر الممتدة إلى أسر نووية صغيرة تسعى للاستقلال بمساكن جديدة. وقد ترتّب على ذلك فقدان المدن لجزءٍ مهم من مواردها الزراعية، سواء أكانت أراضي صالحة للزراعة أو مزروعة فعليًا.

و يُعد تطور وسائل النقل والمواصلات أحد أبرز العوامل التي ساعدت على اتساع الرقعة العمرانية من خلال شق الطرق الجديدة وإقامة المنشآت التجارية على جانبيها، وهو ما أدى بدوره إلى انتشار العمران في الأراضي الزراعية المحيطة بالمدن. ويُضاف إلى ذلك ضعف التخطيط الحضري وغياب القوانين الصارمة المنظمة لاستعمالات الأراضي، مما تسبب في تقلص المساحات الزراعية المنتجة وتوسع العمران على حسابها.

يشير مصطلح التوسع العمراني إلى توسع مدينة ما على حساب الأراضي والمناطق المحيطة بها، مما تؤدي هذه الظاهرة إلى تطوير المناطق المحيطة و المجاورة للمدن تدريجياً وزيادة كثافتها السكانَّية شيئا فشيئا ، فضلاً عن الزيادة السكانية هناك عوامل أخرى تساعد على التوسع العمراني في المدن أبرزها سياسة الدولة وذلك من خلال استحداث الأحياء السكنية الجديدة في أو بالقرب من الأراضي الزراعية وبساتين النخيل المتواجدة في المدن او المحيطة بها ، فضلاً عن العامل المادي الذي من خلاله يتم أغراء أصحاب الأرض الزراعية الواقعة في ضواحي المدن من خلال بيعها واستغلالها لأغراض غير زراعية ، كما أن للعوامل الاجتماعية دور بارزاً من خلال رغبة بعض سكان المدن في السكن في ضواحي اذ يقتطعون مساحات معينة من الأراضي الزراعية ويحولونها الى أراضي سكنية دون الاستفادة منها في الزراعة فضلاً عن الدور الكبير للعوامل الاقتصادية من خلال تحسين المستوى المعيشي النسبي للسكان الذي أدى إلى انشطار العوائل والبحث عن أرض تصلح ان تكون سكنا لهم ، وبهذا تعرضت المدينة الى خسارة موردا اقتصادياً مهما من خلال فقدان ار ض زراعية صالحة

للزراعة او مزروعة فعلاً، كما ان لوسائل النقل و المواصلات دوراً مهماً في الزحف العمراني على الأراضي الزراعية من خلال شق الطرق وإقامة المنشئات والأنشطة التجارية على جوانب الطريق فضلاً عن انعدام التخطيط السليم في المدن وضعف القوانين العمرانية الرادعة ساعد على تقلص مساحة الرقعة الزراعية المنتجة وتوسع العمران على حساب الأراضي الزراعية .

اولاً / مشكلة البحث:

يمكن صياغة مشكلة البحث بالأسئلة التالية :-

١- هل للنمو السكاني في مدينة الناصرية اثر في توسع المدينة على حساب الأراضي الزراعية؟

٢- هل للعوامل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية اثر في تحديد التوسع العمراني على الأراضي الزراعية ام انها ساهمت في توسع المدينة ؟

٣ – هل هناك اثار مترتبة للتوسع العمراني على الأراضي الزراعية في مدينة الناصرية ؟

ثانيا – فرضية البحث:

١- التوسع العمراني على الأراضي الزراعية له اسباب متعددة ومن ابرزها النمو المتزايد للسكان الطبيعي والهجرة من المناطق المجاورة وانخفاض اسعار الأراضي الزراعية وغياب دور القانون وكذلك سوء تخطيط الدولة .

٢- شهدت مدينة الناصرية تزايداً في مساحتها العمرانية وان هذا التوسع العمراني كان على حساب الأراضي الزراعية .

٣ – هناك العديد من الآثار السلبية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية التي خلفها التوسع العمراني على حساب الأراضي الزراعية في مدينة الناصرية.

ثالثاً / هدف البحث:

١- معرفة حجم التغيرات الحاصلة بسبب التوسع العمراني العشوائي في مدينة الناصرية وبيان اسباب هذا التوسع وأثره على الأراضي الزراعية

٢- دراسة العوامل التي ادت الى التوسع العمراني على الأراضي الزراعية في مدينة الناصرية مما ادى الى تقليص المساحات الزراعية من خلال تتبع مراحل تتطور المدينة منذ نشؤها الى الوقت الحاضر وكذلك معرفة المحددات التي وقفت باتجاه التوسع العمراني ومعرفة اتجاهات توسع المدينة .

٣- الكشف عن ابرز الآثار و المشكلات الناتجة عن التوسع العمراني وكذلك الكشف عن مقدار التناقص الذي حصل للأراضي الزراعية مقابل التوسع العمراني الذي حدث للمدينة .

٤- وضع الحلول اللازمة لمعالجة مشاكل التوسع العمراني على حساب الأراضي الزراعية المنتجة.

رابعاً / الحدود المكانية والزمانية لمنطقة الدراسة:

تقع مدينة الناصرية بين دائرةعرض (`١٠ °٣١ – `٥٠ °٣١) شمالاً وخط طول (`٢٠ °٤٦ – `٢٩ °٤٦) شرقاً، تتمثل منطقة الدراسة بالحدود البلدية لمدينة الناصرية التي تقع ضمن محافظة ذي قار الواقعة جنوب العراق ، فيحدها قضاء الشطرة والرفاعي من جهة الشمال وقضاء سوق الشيوخ من جهة الجنوب وتحدها محافظة المثنى من جهة الجنوب الغربي وقضاء الجبايش من جهة الجنوب الشرقي اما محافظة ميسان فتحدها من جهة الشرق ، يلاحظ خريطة (١).

أما حدود البحث زمانياً فأنها تمتد من بداية نشوء مدينة الناصرية عام ١٨٦٩م حتى عام ٢٠٢٤م.

خريطة (١) موقع مدينة الناصرية بالنسبة الى محافظة ذي قار

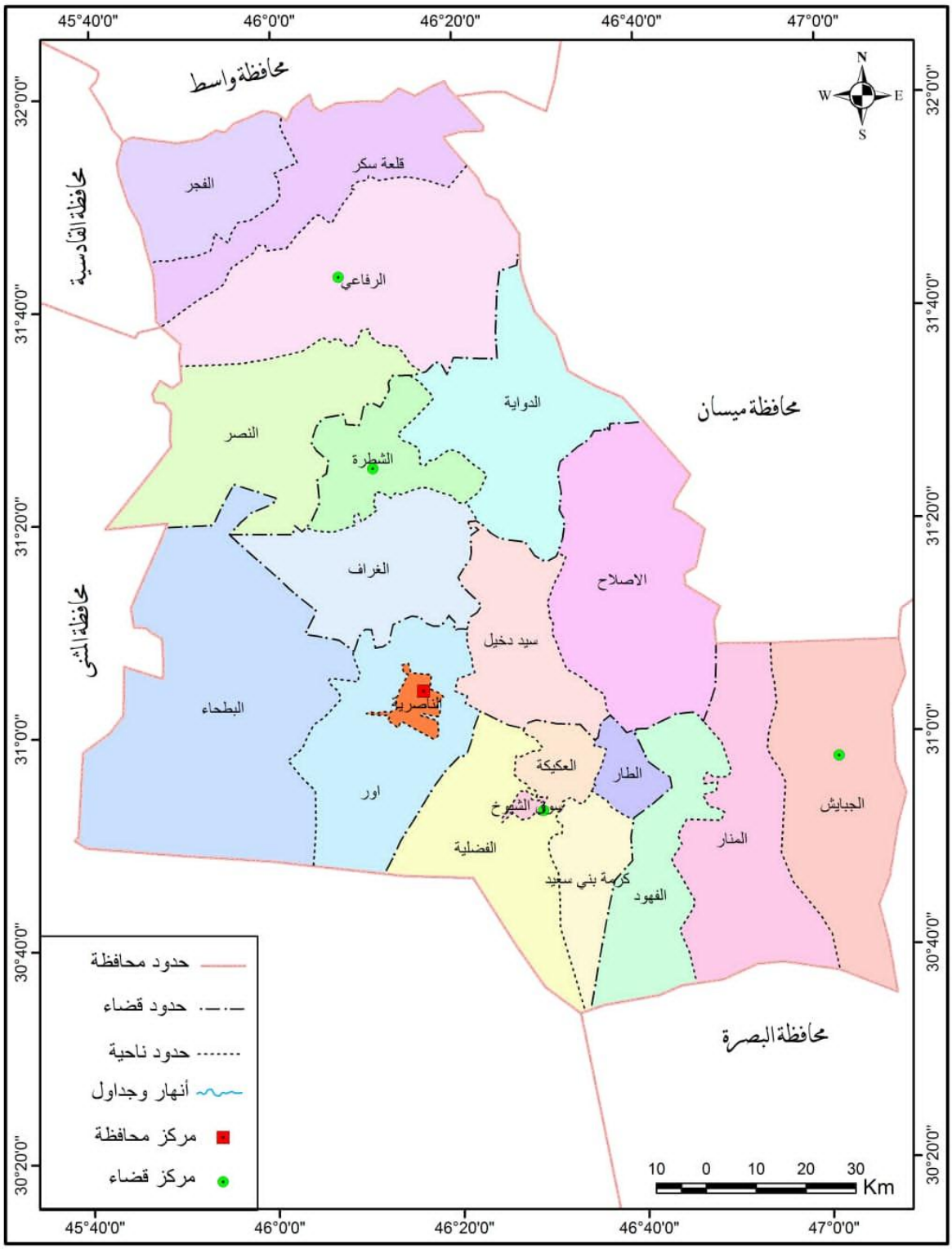

- **وزارة الموارد المائية ، الهيئة العامة للمساحة ، قسم انتاج الخرائط ، خريطة محافظة ذي قار الادارية ، مقياس ١: ٢٥٠٠٠٠ ، بغداد ، ٢٠١١.**

خامساً / منهجية البحث:

اعتمدت البحث على المنهج الوصفي العلمي الدقيق وكذلك المنهج التاريخي عن طريق تتبع مراحل تطور المدينة وتغير استعمالات الأرض وتناقص الأراضي الزراعية وزيادة البنية العمرانية ، كذلك استخدام المنهج التحليلي من اجل بيان دور العوامل البشرية التي ادت الى التوسع الكبير على الأراضي الزراعية.

المبحث الاول /التوسع المساحي لمدينة الناصرية

شهدت مدينة الناصرية منذ تأسيسها وحتى الوقت الحاضر مراحل متعددة من التطور والتوسع في بنيتها العمرانية والسكانية. فالمدينة، باعتبارها كيانًا جغرافيًا وحضريًا، تعكس من خلال تاريخها ملامح التغير في الشكل والتنظيم والمضمون الاجتماعي والاقتصادي. وقد اختلفت أنماط التوسع في كل مرحلة تبعًا للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرّ بها العراق، الأمر الذي انعكس على شكل المدينة ومساحتها وعدد سكانها.

المرحلة الأولى (١٨٦٩-١٩٣١م)

تأسست مدينة الناصرية سنة ١٨٦٩م، وقد كان نموها بطيئًا في بداياتها نتيجة الاضطرابات السياسية والإدارية التي كانت تمر بها البلاد. قام المهندس البلجيكي جولس تلي بتخطيطها وفق أسس هندسية حديثة، حيث صُممت شوارعها على نمط متقاطع هندسي ومنظم. اقتصرت مساحة المدينة حينها على نحو (٦٠) هكتار فقط، وتمركزت في الجانب الأيسر من نهر الفرات في أحياء محدودة مثل (السراي، الجامع، السويج).

اقتصر بناء نواة المدينة على الجانب الأيسر لنهر الفرات كما اقتصر البناء على أحياء سكنية قليلة وهي (السراي – الجامع– السويج) وجميع هذه الأحياء تقع في الجانب الأيسر لنهر الفرات ما يسمى صوب الجزيرة(عباس ، ٢٠٠٤ ،ص١٠)

ورغم ضآلة نموها العمراني في تلك الفترة، إلا أن بعض التحولات البيئية، كانخفاض مناسيب نهر الغراف، أدت إلى نزوح سكاني من الأرياف المجاورة نحو المدينة وذلك بعد عام ١٩٢٦ ، أدى هذا الامر الى انشاء سدة الكوت (الركابي ،ص٤٥).

المرحلة الثانية (١٩٣٢– ١٩٥٧م)

مع حصول العراق على استقلاله ودخوله عصبة الأمم، بدأت الناصرية تشهد توسعًا تدريجيًا في مساحتها العمرانية باتجاه الشمال الغربي، وظهرت أحياء جديدة كـ (الشرقية والصابئة). اتخذ التوسع في هذه المرحلة طابعين:

الأول خطي على امتداد محاور الطرق الرئيسة، والثاني قافز من خلال انتقال العمران إلى مناطق جديدة خارج النواة القديمة.

اما شكل المدينة في هذه المرحلة كان مستطيلا غير منتظم بسبب الامتداد المتزايد في الجانب الشرقي الذي هو أقرب إلى النواة المركزية(السهلاني ، ٢٠١٠ ، ص ٢١).

بلغت مساحة المدينة نهاية هذه المرحلة نحو (٥٠٠) هكتار، وكان شكلها يميل إلى الاستطالة المستطيلة بسبب الامتداد شرقًا. وارتفع عدد سكانها من (٢٤,٠١٣) نسمة عام ١٩٤٧ إلى (٣٩,٢٣٩) نسمة عام ١٩٥٧، ما يعكس زيادة واضحة في الكثافة السكانية والعمرانية (السهلاني ، ٢٠١٠ ، ص ٢١)..

شهدت الناصرية خلال هذه المرحلة نمو متزايد في المساحة إذ لم يكن هناك ما يعيق توسع المدينة في أي اتجاه باستثناء السدة الترابية التي كانت تحيط بالمدينة لحمايتها من الفيضانات والتي تم تجاوزها خلال هذه المرحلة من خلال التوسع والبناء خارج السدة حيث بلغت مساحة الاستعمال السكني للأرض (٢٠٥) هكتار(الياسري ، ٢٠١٥ ، ص ٢٢).

المرحلة الثالثة (١٩٥٨-١٩٧٦)

تعد هذه المرحلة من أهم مراحل النمو الحضري في تاريخ الناصرية، إذ شهدت البلاد تطورًا اقتصاديًا كبيرًا بعد ثورة ١٤ تموز وازدياد الإيرادات النفطية. استُعين آنذاك ببعض المؤسسات الاستشارية الأجنبية مثل مؤسسة "دوكسيادس" اليونانية لوضع أسس تخطيطية جديدة للمدينة.

توسع البناء في اتجاهات متعددة حتى بلغت المساحة الكلية نحو (١٤٥٠) هكتار، منها (٦٩٠) هكتار مخصصة للاستعمال السكني بنسبة (٤٧.٦%). تميزت المدينة في هذه الفترة بوضوح البنية العمرانية وتنوع وظائفها، وهو ما منحها ملامح مدينة منظمة نسبياً مقارنة بالمراحل السابقة.

المرحلة الرابعة (١٩٧٧-١٩٩٠)

شهدت هذه المرحلة توسعًا كبيرًا نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية وزيادة عدد السكان، حيث ارتفع من (١٠١,٢٥٦) نسمة عام ١٩٧٧ إلى أكثر من (٢١٣,٠٠٠) نسمة عام ١٩٨٧ (عباس ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٠).

شهدت مدينة الناصرية منذ بداية هذه المرحلة تحولات اجتماعية واقتصادية أحدث تغييرات في وضائف المدينة وأنماط استعمالات الارض وتطور نظام العمران فظلا عن الأخذ بالتخطيط الحضري كحقيقة فاعلة ومؤثرة في إدارة المدينة

ان توسع المدينة كانت نتيجة عوامل أسهمت في هذا التوسع الحضري وظهور الضواحي وهذه العوامل تعد قوانين ثابتة من شأنها تحقيق توسع أي مدينة وكفاءتها وزيادة عدد سكان المدينة وظهور الجمعيات التعاونية ودورها في توزيع الاراضي السكنية والمساكن ومنح التسليف والقروض والضغط على الأراضي داخل المدينة وانخفاض أسعار الأراضي خارج المدينة والضواحي. ففي هذه المرحلة تم استكمال بناء العديد من الأحياء بعد أن كانت عبارة عن وحدات سكنية متناثرة وظهور أحياء سكنية جديدة إذ ظهرت في شمال المدينة (صوب الجزيرة) أحياء تمثلت ب (حي العسكري، حي الشهداء ، حي اريدو)

بلغت المساحة الكلية للمدينة حوالي (٤٥٠٠) هكتار، فيما توسعت الاستعمالات السكنية إلى نحو (٢٣٠٠) هكتار. اتخذت الخطة الحضرية نمطًا يجمع بين التخطيط الشبكي والشعاعي، مما أكسب المدينة مزيجًا من الانتظام والتنوع في أنماط الشوارع والأحياء

كما شهدت ازدياد الحجم السكاني للمدينة اذ وصل حسب تعداد عام ١٩٧٧ الى (١٠١٢٥٦) نسمة وتعداد عام ١٩٨٧ وصل الى (٢١٣٨٤٩) نسمة أي بزيادة سكانية بلغت اكثر من (١١٢٥٩٣) نسمة خلال الفترة بين التعدادين .

المرحلة الخامسة (١٩٩١-٢٠٠٢)

تأثرت هذه المرحلة بالظروف السياسية والاقتصادية التي عاشها العراق، مما أبطأ من وتيرة التطور العمراني. إلا أن الفجوات العمرانية التي كانت تحيط بالنواة الحضرية استُغلت لاحقًا في إنشاء وحدات سكنية ومؤسسات صناعية.

أحاطت المدينة محددات طبيعية وبشرية، كالمصب العام شمالًا وبساتين النخيل شرقًا، ما قيد توسعها الأفقي. بلغت مساحة المدينة خلال هذه المدة حوالي (٤٥٠٠) هكتار، واستمر التخطيط وفق النمط الشبكي مع بعض التعديلات الجزئية

كما نرى ان هناك زيادة سكانية ملحوظة في إعداد السكان من فتره إلى اخرى وهذا دليل على ارتفاع نسبة النمو السكاني في مدينة الناصرية فعند الرجوع الى تعداد السكان في مدينة الناصرية لعام ١٩٩٧م نجد أن عدد السكان بلغ (٣٠٥٩١٠) نسمة (عباس ، ٢٠٠٤،ص ٥٨).

اما خطة المدينة فقد حافظت قدر الإمكان على خطة المدينة الأصلية (الخطة الشبكية) إلا أنها ليست بتطابق تام مع الخطة الأصلية للمدينة (عباس ، ٢٠١٤ ، ص ٢٥)، إذ ظهرت بعض الشوارع الشعاعية لاسيما في الجانب الأيمن للمدينة (صوب الشامية) مع بقاء بعض البلوكات الرباعية المتطاولة الأمر الذي يعكس تجاوز المدينة لحالة الرتابة في الخطط الشبكية وذلك من خلال خطوط شعاعية منطبقة على الشكل الشبكي فظهرت المدينة خلال هذه المرحلة أقرب إلى التخطيط غير المنتظم منها إلى التخطيط الشبكي أو الشعاعي.

كما ازداد عدد السكان ليصل إلى أكثر من (٣٠٥,٩١٠) نسمة في نهاية التسعينات، نتيجة الهجرة من مناطق الأهوار ومن العائدين من الكويت بعد عام ١٩٩١.وتعزى أسباب هذه الزيادة في إعداد السكان إلى الأعداد الوافدة إلى المدينة من العراقيين المقيمين في الكويت والذين دخلوا إلى مدينة الناصرية وسكنوها بعد غزو العراق للكويت في (١٩٩٠/٨/٢)م والإعداد الكبيرة من أبناء الاهوار الذين نزحوا إلى المدينة وسكنوا فيها بعد قيام النظام السابق بتجفيف الاهوار عام ١٩٩٣م

المرحلة السادسة (٢٠٠٣-٢٠٢٤)

مثّلت هذه المرحلة الانطلاقة الفعلية لعمليات التطوير الحضري في الناصرية بعد عقود من الركود. شهدت المدينة تنفيذ مشاريع للبنى التحتية وتمويلات من برامج تنمية الأقاليم، ما أسهم في توسع عمراني واضح.

وصلت مساحة المدينة الكلية إلى نحو (٩٤٣٠) هكتار، منها (٥١٨٤) هكتار مخصصة للسكن. كما تغيّرت البنية الأسرية من الممتدة إلى النووية، فارتفع الطلب على المساكن الجديدة وتضاعف عدد الوحدات السكنية إلى (٧١,٩٧٩) وحدة.

برزت أيضًا ظاهرة السكن العشوائي نتيجة ضعف الرقابة وغياب القوانين الرادعة، ما أوجد تحديات حضرية واجتماعية جديدة. وعلى الرغم من بقاء التخطيط العام على النمط الشبكي، إلا أن المدينة اتخذت في بعض مناطقها ملامح غير منتظمة نتيجة الامتداد العشوائي. (الزيادي ، ٢٠١٩ ، ص٦١).

ولم تتدخل الحكومة فِي اتخاذ أي إجراء بحق المتجاوزين ويعود ذلك إلى غياب القانون والسلطة نتيجة تخلخل الأوضاع السياسية وكما تعرف (بالانفجار السكاني) والطلب المتزايد لتوفير سكن ملائم(يوسف ، ٢٠١٩ ، ص٦٥) .فضلاً عن الساحات العامة والأراضي التابعة للدولة داخل الأحياء السكنية. كما أن عدد الوحدات السكنية ارتفع خلال هذه المرحلة في مدينة الناصرية حيث بلغ (٧١٩٧٩) وحدة سكنية موزعة على أحياء المدينة

إن هذه الزيادة في عدد الوحدات السكنية ماهي ألا دليل على ازدياد أعداد السكان المتنامي في مدينة الناصرية خلال هذه المرحلة حيث بلغ عدد السكان في مدينة الناصرية خلال هذه المرحلة (٥٢٥٧٨٩) نسمه (السهلاني ، ٢٠٠٩،ص١٣٩).

اما خطة المدينة خلال هذه المرحلة فقد حافظت المدينة على خطتها الاصلية (الخطة الشبكية) مع وجود بعض الشواذ بسبب انتشار الشوارع الشعاعية وهذا ما يلاحظ في الجانب الأيمن من المدينة (صوب الشامية) كما هو في حي الشموخ.

وكذلك في الجانب الأيسر من المدينة (صوب الجزيرة) في الأجزاء المكملة لشارع النيل لاسيما بعد استكمال الوحدات السكنية في أجزاء المدينة المختلفة فبقيت المدينة قريبة إلى التخطيط غير المنتظم.

المبحث الثاني الاطراف الريفية الحضرية في مدينة الناصرية

يقصد بالاطراف الريفية الحضرية الامتدادات المحورية للمدينة خارج اطارها المساحي وفق انموذج التوسع المحوري او الخطي مع امتداد خطوط الحركة الرئيسة الخارجة من المدينة (شنان ، ٢٠١٩، ٢٢٠) .

او انها تتكون بالاندماج النووي عندما يتطور نمط التوسع اللؤلؤي الى نطاقا متصلا . خاصة عند هوامش المدينة المركزية.

وتختلف مديات هذه الاطراف باختلاف اهمية الشارع الخارجي من المدينة ودرجة غنى الظهير الاقليمي الموجه نحوه .

تتعرض مدينة الناصرية الى ظاهرة تكوين الاطراف الريفية الحضرية وبشكل متفاوت بين اطرافها بسبب وجود مناطق مانعة للتوسع المساحي مثل الحي الصناعي مع امتداد طريق ناصرية ــ غراف ، والطاقة الحرارية الكهربائية مع امتداد طريق ناصرية ــ بطحاء او لوجود حاجز عسكري مثل السجن الاصلاحي القديم على طريق ناصرية ــ سيد دخيل اذ ان هذه الموانع او الضواغط تجعل توسع المدينة في هذه الاتجاهات محدد بجانب واحد من الطريق ، في حين لا يوجد هناك اي امتداد مع محور طريق ناصرية ــبصرة باتجاه الجنوب بسبب وجود المحددات الضاغطة على التوسع المساحي المتمثلة بمنطقة الطمر الصحي ومصفى الناصرية النفطي(السهلاني ، ٢٠٠٨، ص١٣٢).بالمقابل فأن هناك محاور تمتاز بالغنى السكاني وخلوه من المناطق الضاغطة على التوسع المساحي .

تتحدد الاطراف الريفية الحضرية في مدينة الناصرية بمحاور الحركة الرئيسة التي تربط المدينة باطارها الاقليمي الذي يمثل الاجزاء الشمالية والشرقية والغربية ، واتخذت الاطراف صفة التوافق مع خطوط الحركة الرئيسة الخارجة من المدينة والمتمثلة بما يأتي :- انظر خريطة (٢) .

١-اطراف الناصرية – غراف

يمثل هذا المحور خطا رئيسا بأتجاه مدينة الغراف شمال الناصرية ليشمل قرية الشوفة والوحدات السكنية ضمن منطقة الحي الصناعي ودور الزراعة ويستمر امتداده مع الطريق الى خارج حدود المدينة

٢-اطراف ناصرية – سيد دخيل

التي تمتد مع طريق سيد دخيل ليشمل كافة الاراضي الواقعة قرب السجن الاصلاحي القديم حيث تتطاول بأتجاه الشرق مع امتداد الطريق .

٣-اطراف الناصرية – اور

تمتد هذه الاطراف من احياء التضحية والخضراء والبقاع بأتجاه ناحية اور ويرتبط مع هذا المحور محورا اخر يتجه نحو ناحية اور مع امتداد نهر الفرات متخذا من الطريق الممتد عبر بساتين الناحية محورا له .

خريطة (٢) الاطراف الريفية –الحضرية في مدينة الناصرية

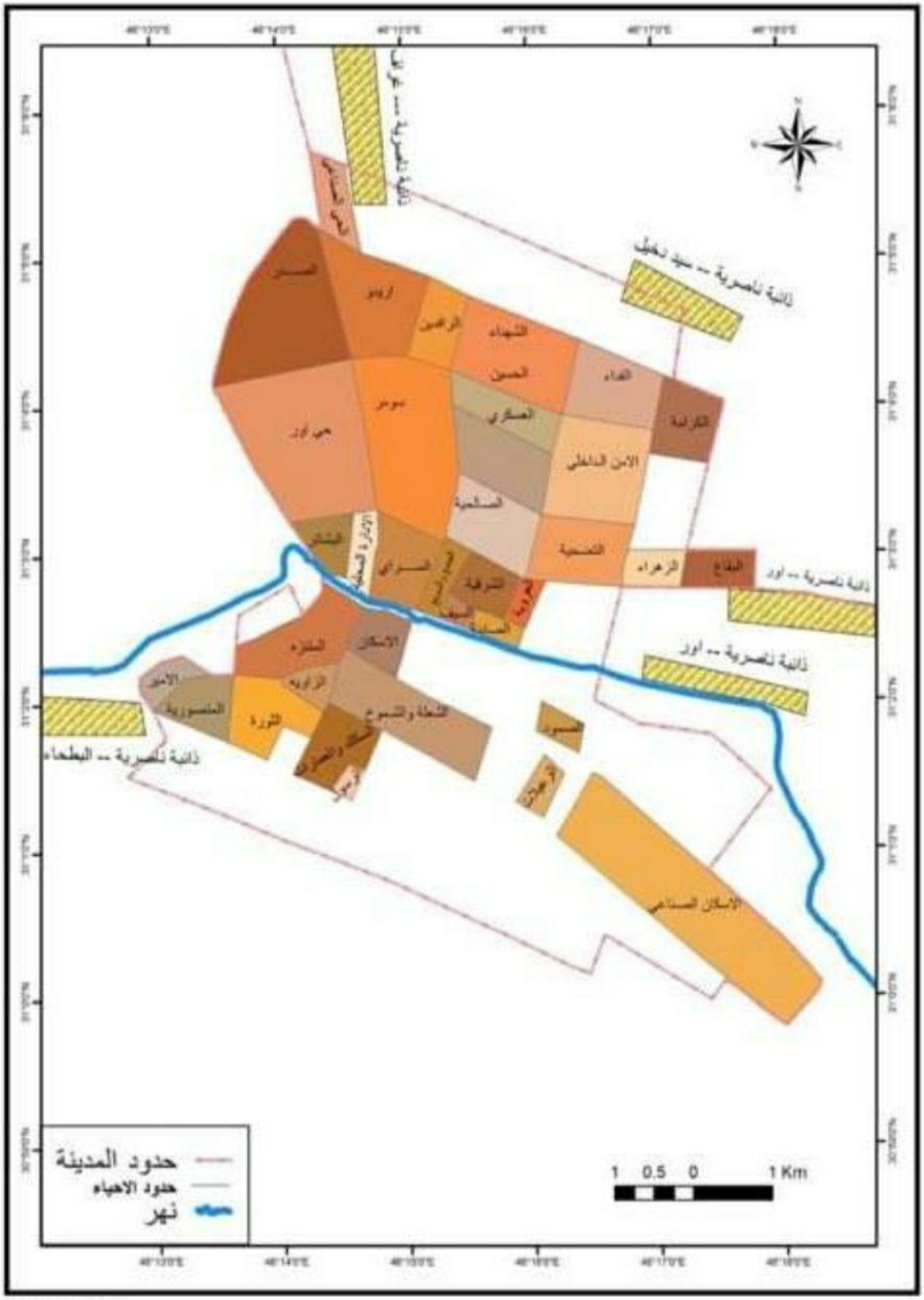

المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على

- **وزارة الموارد المائية ، الهيئة العامة للمساحة ، قسم انتاج الخرائط ، خريطة محافظة ذي قار الادارية ، مقياس ١: ٢٥٠٠٠٠ ، بغداد ، ٢٠١١.**

٤-اطراف الناصرية – البطحاء

وهو محور مهم يربط المدينة بناحية البطحاء ، كما انه طريق رابط بين الناصرية والمحافظات (المثنى ، الديوانية) ، ويضم هذا المحور امتدادات احياء المنصورية ، الامير .

تصنيف الاطراف في مدينة الناصرية

هناك عدة اساليب يمكن اعتمادها في عملية التصنيف ، بعضها ياخذ الجانب المورفولوجي (الشكلي) للاطراف وعلى هذا المعيار يمكن تحديد اطراف مدينة الناصرية بما يأتي :-

١-اطراف احادية المحور

مثل اطراف ناصرية – البطحاء واطراف ناصرية –سيد دخيل .

٢-اطراف مركبة متكونة من اكثر من محور تندمج مع بعضها البعض في مرحلة ما من مراحل امتداد الاطراف ، ويمثل محور ناصرية – اور انموذجا لذلك وهو حاصل اندماج محوري ناصرية – اور الطريق القديم ومحور ناصرية – اور مع امتداد نهر الفرات (طريق السفينة) .

٣-اطراف متقطعة نتيجة لوجود فضاءات بين محاور التطاول لم يتسنى الوقت لها لتمتلئ بالاستخدامات الجديدة ، او تلك التي تشتت من المدينة المركزية ، او بسبب اجراءات تتعلق بملكية تلك الفضاءات غير المستثمرة .

٤-اطراف محدودة التطاول واخرى يزداد تطاولها عن الاطراف الاخرى وبينهما مستويات من الامتداد للاطراف تقع بين هذين القطبين ، ويأتي ذائبتا ناصرية – غراف واطراف ناصرية – بطحاء كنماذج قطبية لهذا التباين في امتداد الاطراف .

المبحث الثالث / الزحف العمراني على الاراضي الزراعية

يرتبط التوسع العمراني في المدن ارتباطًا وثيقًا بالنمو السكاني وازدياد الطلب على الأراضي، إذ تُعد هذه الظاهرة من أبرز التحديات التي تواجه التخطيط الحضري في العصر الحديث، ولا سيّما في المدن النامية ذات الطابع الزراعي.

فمع تضخم المدن وارتفاع الكثافة السكانية، تبرز مشكلة تمدد العمران على حساب الأراضي الزراعية المحيطة بها، وهي مشكلة ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وبيئية متشابكة. (البدراني ، ٢٠٢١،ص ٢٢).

ويبدأ هذا التوسع في الريف القريب من المدن الذي يعد الرئة التي تتنفس منها المدينة وتحصل منه على المصادر واحتياجاتها الزراعية

ولًا: مفهوم الزحف العمراني وآثاره العامة

يُعرَّف الزحف العمراني بأنه امتداد المنشآت السكنية والتجارية والصناعية خارج الحدود الحضرية للمدينة إلى الأراضي الزراعية المجاورة، مما يؤدي إلى فقدان مساحات زراعية منتجة وتحويلها إلى استعمالات عمرانية.

وقد عرّفه بعض الباحثين بأنه الزيادة المستمرة في أعداد السكان وما يرافقها من توسع في البناء، سواء كان منظّمًا أم عشوائيًا. (العزاوي ، ٢٠٠٥، ص ٥٨).

ويُلاحظ أن العلاقة بين عدد السكان والمساحة الحضرية علاقة طردية؛ فكلما ارتفع عدد السكان، زادت الحاجة إلى الأراضي، ما يؤدي إلى ضغط متزايد على الأراضي الزراعية المجاورة للمدن. (علي ، ٢٠١٩ ، ص ٤٩).

وتُعد مدينة الناصرية مثالًا واضحًا لهذه الظاهرة، إذ اتسعت مساحتها الحضرية على حساب الأراضي الزراعية الخصبة المحيطة بها نتيجة النمو السكاني والهجرة من الأرياف، إلى جانب ضعف تطبيق القوانين الرادعة وتراجع التخطيط الحضري المنظم. (طعيمه ، ٢٠١٤ ، ص ١٣٥).

كما أن للزحف العمراني على الأراضي الزراعية في مراحله المختلفة أثار سلبية اخرى ومنها ان هذه الأراضي الزراعية تعتبر متنفس للمدينة التي تحيط بها

فقد باتت ظاهرة الزحف العمراني على الأراضي الزراعية تهدد العديد من دول العالم لما لهذه الظاهرة من آثار سلبية وما يصاحبها لفقدان العديد من الموارد الطبيعية إضافة إلى تعرض الحيوانات البرية إلى التهديد بسبب الوجود البشري في المساحة التي تعيش فيها.

ثانيا / مخاطر الزحف العمراني

تعد ظاهرة الزحف العمراني للمدن ظاهرة معروفة لمعظم دول العالم لا سيما البلدان الزراعية لما لها من أهمية كبيرة في الاختصاصات الجغرافية والمخططين وعلماء الاجتماع والاقتصاد (السهلاني ، ٢٠١٠ ، ص ١١٠).

إن المنطق الجغرافي للمدينة يقوم على أن المدينة تجمعاً سكانياً بنشاطات اقتصادية متعددة ومتباينة ولكنها اجمالياً ليست زراعية لعدم توفر مؤهلات الزراعة والانتاج الزراعي فيها في حين يقوم الريف على الزراعة والانتاج المزدوج (نباتي وحيواني) فيرفد المدن المجاورة له بفائض الإنتاج.

إن توسع المدينة على حساب الأراضي الزراعية يأخذ ثلاث ابعاد احدهما مساحي والآخر اجتماعي والثالث اقتصادي وتعمل هذه الأبعاد الثلاثة مشتركة ومتزامنة في الوقت ذاته.

اما في ما يخص مدينة الناصرية فأن التوسع العمراني الكبير باتجاه الأراضي الزراعية قد أفقدها مصدر غذائها الرئيسي وخاصة من المنتوجات ذات الاستهلاك الاني والتي لابد أن تتوفر اذا ما ادركنا أن مدينة الناصرية تقع ضمن اراضي زراعية خصبة كانت هذه الأراضي في ما سبق وقبل وصول الزحف العمراني إليها ترفد أسواق المدينة بمختلف السلع والمواد الغذائية النباتية والحيوانية وخاصة الأراضي الزراعية الواقعة في الجانب الشرقي للمدينة والممتدة على جانبي نهر الفرات لما تمتلكه هذه الأراضي من مقومات زراعية من خصوبة التربة ووفرة مياه ومساحات كبيرة.

وبالمقابل فإن عملية الزحف العمراني على حساب الأراضي الزراعية لم يقتصر أثرها على التهام الأراضي الزراعية فقط بل أدى إلى ارتفاع أسعار هذه الأراضي وهذا هو الجانب الاقتصادي للمشكلة.

فالمدينة عند توسعها نحو الأراضي المرغوب بها (الزراعية) فإن هذا التوسع يساعدك في ارتفاع أسعار هذه الأراضي بشكل يوازي بعض الأحيان ما موجود من أسعار للأراضي داخل المدينة بل ربما أكثر من ذلك في بعض الأحيان.

وهذا يعتبر عامل مشجع لحالة النفور المتزايد لمالكي الأراضي الزراعية وعزوفهم عن ممارسة الأنشطة الزراعية لصالح الأنشطة الأخرى غير الزراعية او الحضرية (الحيدري ، ١٩٩٦، ص ٩١).

وبذلك عمل هؤلاء الملاك للأراضي الزراعية على تهيئة تلك الأراضي لتتحول إلى أراضي حضرية عن طريق إهمالها وقطع مصادر المياه عنها حتى تنطبق عليها مواصفات الأراضي غير الزراعية وتدخل في مجال المضاربة العقارية.

هذه العوامل انعكست سلبا على الواقع الاجتماعي إذ أصبحت المدينة تضم خليطاً غير متجانس من السكان مع اختلاف واضح في العادات والتقاليد والثقافات الاجتماعية (البدراني ، ٢٠٢١ ، ص ١١٠).

العوامل المؤثرة في الزحف العمراني.

اولاً/ طرق النقل.

يعد عامل النقل أحد العوامل المهمة في نمو المدينة وتطورها العمراني وتباعد أطرافها فبواسطة النقل تستطيع المدينة مد مساحاتها المبنية وتستطيع أيضاً تطوير علاقاتها والقيام بالتبادل الوظيفي مع المناطق المجاورة (الشمري ، ٢٠٠٦، ص ٣٢) .

ويعد النقل من أهم العوامل التي أسهمت في اتساع الرقعة العمرانية في مدينة الناصرية، إذ أدّت شبكات الطرق الجديدة إلى سهولة الوصول إلى الأراضي الزراعية المحيطة، ما جعلها مناطق جذب للبناء والاستيطان.

فقد انتشرت المباني السكنية والتجارية على طول الطرق المتجهة إلى الأقضية والنواحي المجاورة مثل سوق الشيوخ وسيد دخيل وأور، محولةً الأراضي الزراعية الواقعة على جانبي الطرق إلى مناطق سكنية.

ثانياً/ العامل السياسي.

كان للعوامل السياسية والإدارية دور واضح في التوسع الحضري، سواء من خلال سياسات توزيع الأراضي أو بسبب الأزمات التي دفعت السكان إلى النزوح من مناطقهم الأصلية.

فقد ساهمت الحروب والنزاعات الداخلية، كالحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠–١٩٨٨) وحرب الخليج (١٩٩١)، فضلًا عن عمليات تجفيف الأهوار، في زيادة تدفق السكان نحو الناصرية واستيطانهم أطرافها الزراعية.

أمام هذا الواقع، اضطرت الجهات الحكومية إلى تعديل التصميم الأساسي للمدينة وتغيير استعمالات الأراضي الزراعية إلى سكنية لاستيعاب هذا التوسع السكاني غير المخطط. وعلى إثر تلك الأسباب والأحداث قامت الجهات ذات العلاقة بتعديل حدود التصميم الأساسي للمدينة عدة مرات نظراً لحالة الزحف العمراني وتحويل استعمالات بعض الأراضي الزراعية إلى استعمال سكني والغرض من ذلك استيعاب الزيادة السكانية وتغطية الحاجة المتزايدة للسكن.

ثالثاً/ العامل الاجتماعي.

هر الجانب الاجتماعي أثرًا واضحًا في الزحف العمراني من خلال أنماط السلوك السكني للسكان. ويمكن تلخيص هذا الأثر بعدة مظاهر، أهمها:

أ–الغزو والتراجع

ويقصد بالغزو هو تغلغل جماعة من السكان في منطقة تختلف اجتماعياً واقتصادياً عن الجماعة عن الجماعة الغازية. ويقسم الغزو إلى نوعين

النوع الأول(الغزو الأيكولوجي) الذي يمثل حركة السكان من الريف إلى المدينة.

والنوع الثاني (غزو استعمالات الأرض) (الجنابي ، ٢٠١١ ، ص ١٤١) الذي يقوم بتغيير نمط استعمالات الارض إلى صناعي وتجاري نظراً لتمتع المنطقة بميزة سهولة الوصول.

ويقابل عملية الغزو عملية التراجع ويقصد بها إزالة الاستعمالات من مكانها الأصلي بشكل تدريجي بفعل غزو الاستعمال التجاري لمنطقة الأعمال المركزية مما أسهم في زحف العمران على الاراضي الزراعية المحيطة بالمدينة.

ب-السيطرة والتدرج.

يقصد بالسيطرة التأثير الذي تفرضه أحد المناطق في المدينة على المناطق الأخرى وقد يتعدى ذلك سيطرة مدينة عدن مدينة أخرى أقل حجماً (الاسدي ، ٢٠٠٩ ، ص٢٠). حيث ترتفع أسعار الأراضي القريبة من مركز المدينة بفعل النشاط التجاري. أما مفهوم التدرج إلى التناقض في درجة السيطرة من المركز إلى الأطراف الخارجية للمدينة. والتأثير هو الذي تفرضه المنطقة المركزية التجارية على أسعار قطع الاراضي القريبة منها وتجعلها مرتفعة بينما تبدأ الأسعار بالانخفاض التدريجي كلمات ازدادت المسافة عنها مما ساهم في الزحف العمراني على الأراضي الزراعية لشدة الطلب على الأراضي القريبة من المركز.

ج-التركز والتشتت.

إذ يسعى بعض السكان إلى امتلاك مساكن أوسع في أطراف المدينة، ما يؤدي إلى تقليص مساحة البساتين وتحويلها إلى وحدات سكنية.

الأمر الذي ساهم بتقليص البساتين والأراضي الزراعية بسبب زحف الوحدات السكنية عليها

رابعاً / العامل الاقتصادي .

يعد هذا العامل من أبرز دوافع الزحف العمراني، إذ إن تراجع الجدوى الاقتصادية للزراعة وارتفاع عائد الأنشطة التجارية والخدمية جعلا الكثير من ملاك الأراضي الزراعية يعزفون عن استثمارها زراعيًا، ويفضّلون بيعها أو تقسيمها كقطع سكنية.

كما أدى تحسّن مستوى الدخل والتحول نحو الوظائف الحكومية إلى ضعف الارتباط بالأنشطة الزراعية، مما ساعد في تسارع التحول العمراني على حساب المساحات الخضراء. (البدراني ، ٢٠٢١ ، ص ١٢٦).

خامساً / النمو السكاني.

إن النمو السكاني كان ولايزال له دور كبير في اتساع رقعة العمران لان الزيادة السكانية يرافقها دائما زيادة الطلب على الأراضي السكنية مما يولد ضغط على الأراضي السكنية داخل المدينة الأمر الذي أدى إلى فتح مناطق جديدة للعمران وإفراز الأراضي الزراعية ومن ثم توزيعها على المواطنين فظلاً عن رغبت أصحاب الأراضي والبساتين بتفتيت أراضيهم الزراعية وبيعها كأراضي سكنية نظراً لارتفاع أثمانها. تُظهر الإحصاءات أن عدد سكان مدينة الناصرية ارتفع من نحو (٣٠٥,٩١٠) نسمة عام ١٩٩٧ إلى (٨٦٤,٥٠٤) نسمة عام ٢٠٢١، أي بزيادة تفوق نصف مليون نسمة خلال أقل من ربع قرن.

وقد ترتب على هذا النمو المتسارع ضغطٌ كبير على الأراضي السكنية داخل المدينة، الأمر الذي دفع إلى إفراز أراضٍ زراعية جديدة وتحويلها إلى مناطق سكنية لتلبية الطلب المتزايد على السكن.

نتائج الزحف العمراني على الأراضي الزراعية.

بالإضافة إلى ما تقدم يمكن إيجاز نتائج الزحف العمراني على الأراضي الزراعية بالنقاط التالية.

١. تراجع الإنتاج الزراعي المحلي بسبب تناقص المساحات المزروعة واعتماد المدينة على الاستيراد لتلبية احتياجاتها الغذائية.

٢. ظهور اختناقات خدمية نتيجة ارتفاع الكثافة السكانية، ما أدى إلى ضغط على شبكات المياه والصرف الصحي والخدمات الصحية والتعليمية.

٣. زيادة المشكلات المرورية نتيجة امتداد الأحياء الجديدة على محاور الطرق الرئيسة، الأمر الذي تسبب بازدحام وتلوث بيئي متزايد.

٤. انتشار البناء العشوائي على أراضٍ زراعية مملوكة للدولة أو الأفراد، مما أوجد حالة من الفوضى العمرانية والتشويه البصري للمشهد الحضري.

٥. ارتفاع أسعار الأراضي وتحولها إلى سلعة استثمارية بدل كونها موردًا إنتاجيًا، ما زاد من صعوبة الوصول إلى السكن لذوي الدخل المحدود.

٦. التدهور البيئي الناتج عن فقدان الغطاء النباتي وزيادة التصحر وتلوث الهواء والمياه بفعل النشاط العمراني.

الاستنتاجات

١-إن الزحف العمراني يؤدي إلى إهمال الأراضي الزراعية والزراعة وبالتالي تقليل الإنتاج الزراعي للمدينة والاعتماد على الاستيراد لسد حاجة المدينة من المنتوجات النباتية والحيوانية.

٢-هناك عدة أسباب تؤدي إلى الزحف العمراني في مدينة الناصرية منها زيادة النمو السكاني وطرق النقل وعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها.

٣- ادى الزحف العمراني الى انخفاض مساحة صنف الأراضي والبساتين بشكل كبير في مدينة الناصرية وخاصة في السنوات الأخيرة.

التوصيات

١- تشجيع التوسع العمراني الرأسي بدلا من التوسع الافقي حفاضا على المساحات الزراعية المنتجة فعليا لانها ثروة وطنية تساهم في دعم الامن الغذائي للسكان .فضلا عن .

٢- تفعيل القوانين الصارمة ضد المتجاوزين على المساحات الزراعية.

٣- منع تحويل جنس الأرض من زراعي الى سكني للأراضي المحيطة بالمدن الصالحة للزراعة .

٤- دعم وتشجيع الفلاحين على استثمار الأرض الزراعية من خلال منحهم القروض الميسرة وتزويدهم بالمعدات والبذور لغرض الزراعة .

المصادر

- الأسدي، افراح إبراهيم شمخي ، **التوزيع المكاني لاستعمالات الأرض الحضرية لمدينة المدحتية** ، رسالة ماجستير ، غير منشوره ، جامعة بابل ، كلية التربية ، ٢٠٠٩ .
- البدراني ، ، مكرم جمال عباس ، **التوسع العمراني لمدينة المدينة على الأراضي الزراعية** ، رسالة ماجستير ، غير منشوره ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، قسم الجغرافية ، ٢٠٢١.
- جميل، نشوان شكري ، **النظام الحضري في محافظة دهوك** ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٧.
- الجنابي، صلاح حميد ، **جغرافية الحضر اسس وتطبيقات** ، ٢٠١١.
- الحيدري ، محمد ، **مسائل في الجغرافية الحضرية** ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٩٩٦.
- الركابي ، محمد خضير ، **مساجد الناصرية**، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر، (بدون سنة طبع) .
- الزيادي ، حسين عليوي ناصر ، دور **تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في تحديد محاور التوسع العشوائي لمدينة الناصرية** ، مجلة القادسية للعلوم الانسانية ، المجلد الواحد والعشرون ، العدد ٤ ، ٢٠١٩ .
- السهلاني ، تحسين جاسم شنان ، **تقييم كفاءة الخدمات المجتمعية (التعليمية والصحية والترفيهية)** ، اطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠١٠.

- السهلاني ، تحسين جاسم شنان ، **محددات التوسع المساحي في مدينة الناصرية** ، مجلة ابحاث البصرة (العلوم الإنسانية) ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، المجلد ٣٢ ، العدد ٢ ، ٢٠٠٨.

- السهلاني ، سميع جلاب منسي ، **تحليل جغرافي للحراك السكاني في مدينة الناصرية للمدة (١٩٩٧– ٢٠٠٧)** ، رسالة ماجستير، غير منشوره ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، قسم الجغرافية ، ٢٠٠٩.

- الشمري، مسلم كاظم حميد ، **التحليل المكاني للتوسع والامتداد الحضري للمراكز الحضرية الرئيسية في محافظة ديالى** ، أطروحة دكتوراه ، غير منشوره ، جامعة بغداد ، كلية التربية إبن الرشد ، ٢٠٠٦.

- شنان ، تحسين جاسم ومازن عبد الرحمن الهيتي ، **الاطراف الريفية الحضرية لمدينة الناصرية انموذجا للتوسع العشوائي غير المخطط** ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، المجلد ٢٦ ، العدد ٧ ، ٢٠١٩ .

- طعيمه ، فاطمة صابر الدسوقي ، **أثر التعديات العمرانية على الأراضي الزراعية** ، رسالة ماجستير ، غير منشوره ، جامعة بنها ، ٢٠١٤.

- عباس ،ابراهيم ناجي ، **دور الجغرافي في تحديد اتجاهات التوسع العمراني لمدينة الديوانية**، رسالة ماجستير، غير منشوره ، جامعة القادسية ، كلية الآداب ،قسم الجغرافية ، ٢٠٠١.

- عباس ، حيدر عبد الكريم سالم ، **النقل بالسيارات في مدينة الناصرية** ، رسالة ماجستير ، غير منشوره ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، قسم الجغرافية ، ٢٠٠٤.

- العزاوي، ضافر إبراهيم طه ، **التوسع العمراني وأثره على استعمالات الأراضي الزراعية في ناحية يثرب** ، مجلة الفتح ، العدد ٢٢ ، ٢٠٠٥.

- علي ،هدى ظاهر ، **التحليل المكاني للزحف العمراني على الأراضي الزراعية في قضاء التاجي** ، أطروحة دكتوراه ، غير منشوره ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ٢٠١٩ .

- الياسري ، غرار عدنان حسن ، **تأثير الخصائص السكانية والاجتماعية على الحاجة السكنية في مدينة الناصرية والتنبؤ بها حتى عام ٢٠٣٠**، رسالة ماجستير، غير منشوره ، جامعة ذي قار كلية الآداب، قسم الجغرافية ، ١٠١٥، ص٢٠.

- يوسف ،نوار عبد الجبار ، **التوزيع المكاني لمناطق السكن العشوائي في مدينة الناصرية وأسباب النشوء** ، رسالة ماجستير ، غير منشوره ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، قسم الجغرافية ونظم المعلومات الجغرافية ، ٢٠١٩ .